

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } * { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } * { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ }
{ * { وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } * { وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (1-5)

{ الْفَلَقِ } الصبح، يقال: هو أبين من فلق الصبح. و سمي فلماً، لأنه يفلق عنه الليل.
و هو فعل بمعنى مفعول. قال الزجاج: لأن الليل ينفلق عنه الصبح، و يكون بمعنى
مفعول. يقال: هو أبين من فلق الصبح، و من فرق الصبح، و هذا قول جمهور
المفسرين، و منه قول ذي الرّمة:

حتى إذا ما انجلي عن وجهه
هادئة في أخريات الليل منتصب
فلق

و قول الآخر:

يا ليلة لم أتمها بت مرتفقا أرعى النجوم لي أن تور الفلق
و قيل: هو سجن في جهنم. و قيل: هو اسم من أسماء جهنم. و قيل: شجرة في النار.
و قيل: هو الجبال و الصخور، لأنها تفلق بالمياه، أي: تشقق. و قيل: هو التفليق بين
الجبال؛ لأنها تنشق من خوف الله. قال النحاس: يقال لكل ما اطمأّن من الأرض
فلق، و منه قول زهير:

ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت أيدي الركاب بهم من راكس فلقا
و الراكس: بطن الوادي، و مثله قول النابغة:

أتاني و دوني راكس فالضواجع

و قيل: هو الرحم تنفلق بالحيوان. و قيل: هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان و الصبح و الحبّ و النوى، و كلّ شيء من نبات، و غيره قاله الحسن، و الضحاك. قال القرطبي: هذا القول يشهد له الانشقاق، فإن الفلق الشقّ، فلقت الشيء فلقاً: شققته، و التفليق مثله، يقال فلقته، فانفلق و تفلق، فكلّ ما انفلق عن شيء من حيوان، و صبح، و حبّ، و نوى، و ماء فهو فلق، قال الله سبحانه:

{ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ }

[الأنعام: 96] وقال:

{ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوَى }

[الأنعام: 95]. انتهى. و القول الأول أولى؛ لأن المعنى، و إن كان أعمّ منه و أوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الإطلاق. و قد قيل في وجه تخصيص الفلق الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كلّ هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائد كل ما يخافه، و يخشاه. و قيل: طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرح؛ فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح. كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صباح النجاح، و قيل: غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير.

{ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } متعلق بـ { أَعُوذُ } أي: من شرّ كلّ ما خلقه سبحانه من جميع مخلوقاته، فيعمّ جميع الشرور. و قيل: هو إبليس و ذرّيته. و قيل: جهنم، و لا وجه لهذا التخصيص، كما أنه لا وجه لتخصيص من خصّص هذا العموم بالمضارّ البدنية. و قد حرّف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه، و تقويماً لباطله، فقرأوا بتنوين: " شرّ " على أن: «ما» نافية. و المعنى: من شرّ لم يخلقه. و منهم عمرو بن عبّيد، و

عمرو بن عائذ. { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } الغاسق الليل. و الغسق الظلمة. يقال غسق الليل يغسق إذا أظلم. قال الفراء: يقال غسق الليل، و أغسق إذا أظلم، ومنه قول قيس بن الرقيات:

إن هذا الليل قد و اشتكيت همم و الأرقا غسقا

و قال الزجاج: قيل لليل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار، و الغاسق البارد، و الغسق البارد، و لأن في الليل تخرج السباع من آجامها، و الهوام من أماكنها، و ينبعث أهل الشر على العبث و الفساد، كذا قال، و هو: قول بارد، فإن أهل اللغة على خلافه، و كذا جمهور المفسرين و وقوبه: دخول ظلامه، و منه قول الشاعر:

وقب العذاب عليهم فكأنهم لحقتهم نار السموم فأخذوا

أي: دخل العذاب عليهم. و يقال وقبت الشمس: إذا غابت. و قيل: الغاسق الثريا. و ذلك أنها إذا سقطت كثرت الأسقام و الطواعين، و إذا طلعت ارتفع ذلك، و به قال ابن زيد. و هذا محتاج إلى نقل عن العرب أنهم يصفون الثريا بالغسوق. و قال الزهري: هو الشمس إذا غربت، و كأنه لاحظ معنى الوقوب، و لم يلاحظ معنى الغسوق. و قيل: هو القمر إذا خسف. و قيل: إذا غاب. و بهذا قال قتادة، و غيره. و استدلوا بحديث أخرجه أحمد، و الترمذي، و ابن جرير، و ابن المنذر، و أبو الشيخ في العظمة، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه عن عائشة قالت: نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً إلى القمر لما طلع فقال: " يا عائشة استعيذي بالله من شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب " قال الترمذي: بعد إخراجهم حسن صحيح، و هذا لا

ينافي قول الجمهور؛ لأن القمر آية الليل، و لا يوجد له سلطان إلا فيه، و هكذا يقال في جواب من قال: إنه الثريا. قال ابن الأعرابي في تأويل هذا الحديث: و ذلك أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر. و قيل الغاسق: الحية إذا لدغت. و قيل الغاسق: كل هاجم يضرب كائناً ما كان، من قولهم غسقت القرحة: إذا جرى صديدها. و قيل: الغاسق هو السائل، و قد عرفناك أن الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله أهل القول الأول، و وجه تخصيصه أن الشر فيه أكثر، و التحرز من الشرور فيه أصعب، و منه قولهم: الليل أخفى للويل. { وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } النفاثات هنّ السواحر، أي: و من شر النفوس النفاثات، أو النساء النفاثات، و النفث النفخ، كما يفعل ذلك من يرقى و يسحر. و قيل: مع ريق. و قيل: بدون ريق، و العقد جمع عقدة، و ذلك أنهنّ كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها، و منه قول عترة:

و إن يعقد فحق له

فإن ييراً فلم أنفث عليه

العقود

وقول متمم بن نويرة:

نفث في الخيط شبيه الرقى من خشية الجنة و الحاسد

قال أبو عبيدة: النفاثات هي: بنات لبيد الأعصم اليهودي، سحرن النبي صلى الله عليه و سلم. قرأ الجمهور: { النفاثات } جمع نفاثة على المبالغة. و قرأ يعقوب، و عبد الرحمن بن سابط، و عيسى بن عمر: (النافثات) جمع نافثة. و قرأ الحسن: (النفاثات) بضم النون. و قرأ أبو الربيع: (النفثات) بدون ألف.

{ وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } الحسد: تمنى زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود. و معنى { إذا حسد } : إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، و عمل بمقتضاه، و حمله الحسد على إيقاع الشرّ بالمحسود. قال عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد، و قد نظم الشاعر هذا المعنى فقال:

يا ظالماً و كأنه
قل للحسود إذا تنفس طعنة
مظلوم

ذكر الله سبحانه في هذه السورة إرشاد رسوله صلى الله عليه و سلم إلى الاستعاذة من شرّ كل مخلوقاته على العموم، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شرّه، و مزيد ضرّه، و هو الغاسق، و النفاثات، و الحاسد، فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشرّ حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر.

و قد أخرج ابن مردويه عن عمرو بن عبسة قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأ: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } فقال: " يا ابن عبسة أتدري ما الفلق؟ " قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " **بئر في جهنم** " وأخرجه ابن أبي حاتم من قول عمرو بن عبسة غير مرفوع. و أخرج ابن مردويه عن عقبه بن عامر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: " **اقرأ: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } هل تدري ما الفلق؟ باب في النار إذا فتحت سعرت جهنم** " و أخرج ابن مردويه، و الديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قول الله عزّ و جلّ: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } فقال: " **هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون، وإن جهنم لتتعوذ بالله منه** " وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه و سلم قال: " **الفلق جبّ في جهنم** " و هذه الأحاديث لو كانت

صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لكان المصير إليها واجباً، و القول بها متعيناً.

و أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: الفلق سجن في جهنم. و أخرج ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: الفلق الصبح. و أخرج ابن جرير عن ابن عباس مثله. و أخرج ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عنه قال: الفلق الخلق. و أخرج ابن جرير، و أبو الشيخ، و ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله: { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } و قال: النجم هو الغاسق، و هو الثريا. و أخرجه ابن جرير، و ابن أبي حاتم من وجه آخر عنه غير مرفوع. و قد قدّمنا تأويل هذا، و تأويل ما ورد أن الغاسق القمر.

و أخرج أبو الشيخ عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إذا

ارتفعت النجوم رفعت كل عاهة عن كل بلد "

و هذا لو صح لم يكن فيه دليل على أن الغاسق هو النجم أو النجوم. و أخرج ابن جرير، و ابن المنذر عن ابن عباس: { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } قال: الليل إذا أقبل. و أخرج ابن المنذر عن ابن عباس: { وَ مِنْ شَرِّ أَلْفَقَتٍ فِي الْعُقَدِ } قال: الساحرات. و أخرج ابن جرير عنه في الآية قال: هو ما خالط السحر من الرقي. و أخرج النسائي، و ابن مردويه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " **من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، و من سحر فقد أشرك، و من تعلق شيئاً وكل إليه "** و أخرج ابن سعد، و ابن ماجه، و الحاكم، و ابن مردويه عن أبي هريرة قال:

جاء النبي صلى الله عليه و سلم يعودني فقال: " ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل؟ "
فقلت: بلى بأبي أنت و أمي، قال: " بسم الله أرقيك، و الله يشفيك من كل داء
فيك من شرِّ النَّقْثِ فِي الْعُقَدِ، وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " فرقى بها ثلاث
مرّات. و أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: { وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }
قال: نفس ابن آدم وعينه.